

## أوجه الاختلاف والالتقاء بين التلقي والاستجابة.

الكلمة المفتاح: نظرية، تلقي، استجابة.

عروبة مالك مهدي

م.د. ربي عبدالرضا عبدالرزاق

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية

[orobaMalek55@gmail.com](mailto:orobaMalek55@gmail.com)[Rubaalbana@yahoo.com](mailto:Rubaalbana@yahoo.com)

## الملخص

تقوم نظرية التلقي على جوهر أساس هو القارئ الذي عليه امتصاص المعنى الذي يحمله النص، وتبيان هذا المعنى عن طريق عملية تفاعلية تتم بين طرفين: القارئ المنتج الناشئ للنص والنص الذي أودع فيه المؤلف مقصدية محددة، وهذه المقصدية هي التي توجه المؤول للتأويل.

وبذلك يكون العمل الأدبي في ضوء نظرية التلقي نتاج العلاقة التفاعلية بين النص والقارئ؛ فهي لا تلغي طرفاً على حساب طرف آخر، بل تحرص على خلق التفاعل بين تشكيلات النص الماضية وآفاق رؤية المعاني؛ أي بنية النص والمعرفة المسبقة، عكس نقد استجابة القارئ الذي يضع القارئ في قمة الهرم، ملغياً وجود مؤلف للنص، من هذه المركزية يقوم البحث على إيجاد نقاد التلاقي والتباين بين المتلقي والاستجابة.

## المقدمة

من المعروف أنّ نظرية التلقي هي نظرية ألمانية، قائمة على آليات إجرائية اشترك في إيجادها كُلاً من (ياوس)، و(آيزر)، وهي (أفق التوقع المتوقع وغير المتوقع، والقارئ الضمني، والفراغات أو مناطق اللاتحديد، أو الفجوات بحسب التسمية)، لهذه النظرية ما يقابلها في النقد الأنجلو أمريكي وهي: (نقد استجابة القارئ)، ويكشف العنوان علامة سيميائية توحى للقارئ وتجعله يكتشف أنّ (نقد الاستجابة) لم يكن نظرية؛ فهو لم يرق إلى مستواها، ربما يمكن أن نطلق عليها مصطلح (نقد استجابة القارئ)، وهو مصطلح متداول في الدراسات الأنجلو أمريكية؛ فهو ليس نظرية موحدة التصور، وإنما هو حقل معرفي دار على السنة عدد من النقاد.

ويمكن أن ننظر إلى (نقد استجابة القارئ) على أنه ركن من أركان نظرية سيتانلي فيشل الوجودية، ونظرية ياوس وآيزر في التلقي. وقد يكون السبب الرئيس وراء تسميتها بـ (نقد استجابة القارئ) إقصاء مقصدية المؤلف، عكس نظرية التلقي، التي تقوم على استجابة القارئ لحصر المعنى في ملعب المتلقي للنص، وذلك بين من العنوان. عن طريق صفحات البحث هذه نحاول أن نحصر أوجه التلاقي بين التلقي والاستجابة؛ لعلنا نصل إلى المطلوب.

والله الموفق.

يقابل (نظرية التلقي) في النقد الألماني مصطلح (نقد استجابة القارئ) المتداول في الدراسات الأنجلو أمريكية، رُيما كان مصطلح (نظرية التلقي/ الاستقبال) غريباً بعض الشيء عن المتحدثين بالانكليزية، وقد كتب هانس روبرت ياوس أهم المؤيدين لنظرية الاستقبال عام ١٩٧٩م بشكل ساخر: ((بالنسبة للأذن الأجنبية فإن موضوع الاستقبال قد يبدو أكثر ملائمة لإدارة فندق منه إلى الأدب))<sup>(١)</sup>.

وما يفصل بين النقد المتعلق بنظرية التلقي الألمانية ونقد الاستجابة في النقد الأمريكي الجديد جُملة أمور، حصر أغلبها الناقد روبرت هولب في مقدمة كتابيه (نظرية الاستقبال) و(نظرية التلقي) على النحو الآتي: يأتي في المقام الأول أن الاستجابة أُطلقت على عددٍ من الكُتّاب ربطت بينهم صلات هزيلة؛ فلم يكن لهم شعار ينظم تحته نقاد الاستجابة، وكان تأثير بعضهم في بعض يسيراً للغاية، وهم لا يشاركون في أي حركة نقدية، كما أنهم ينتشرون في أرجاء العالم، ويعملون في مؤسسات مختلفة؛ فهم لا يلتقون لقاءً منظماً، ولا ينشرون في المجالات نفسها، أو يحضرون المؤتمرات نفسها؛ فجهودهم موزعة، ونتائجهم فردية.

أمّا إذا جننا إلى نظرية التلقي فنجدها على العكس من ذلك؛ فهي تعبر عن وعي وتماسك في أوسع معانيها، وتُعدُّ صدًى للتطورات الاجتماعية، والفكرية، والأدبية في ألمانيا الغربية في نهاية الستينيات؛ بوصفها جهداً جماعياً على المستويين التنظيمي والنقدي، كما أن الكثير من المؤمنين بهذه الحركة النقديّة

مرتبطون بجامعة كونستانس الألمانية، أساتذة، أو خريجين، أو مشاركين في الملتقيات والمؤتمرات نصف السنوية، وأنَّ اجتهادات تلك الجماعات طبعت تحت عنوان: (الشعرية والتأويل)، أو (البيوطيقا والهرمونيوطيقا) (٢).

ويضيف جين ب. تومبكنز فرقاً آخر بين نظرية التلقي ونقد استجابة القارئ؛ فنقد الاستجابة ليس نظرية نقدية موحدة لها أصولها وفلسفتها الخاصة بها، كما هو شأن نظرية التلقي، فهي تيارٌ فكريٌّ يعتمد في معطاته على أصول نظرية التلقي ومعطاتها؛ ف ((ليس نقد استجابة القارئ نظريةً نقديةً موحدةً تصورياً، إنما هو مصطلح ارتبط بأعمال النقاد الذين يستعملون كلمات من قبيل القارئ reader، وعملية القراءة process reading، والاستجابة response؛ ليميزوا حقلاً من حقول المعرفة، وتقف حركة استجابة القارئ في سياق النقد الأنجلو - أمريكي وعلى نحو مباشر بوجه مقولة النقد الجديد)) (٣).

ثمة نقطة من نقاط الاختلاف بين الاستجابة والتلقي، تقوم على تحديد نوع القارئ عند كُـلِّ من (فش) و (آيزر)؛ فالقارئ عند (فش) من أبرز رواد مصطلح (استجابة القارئ) ونقول (مصطلح)؛ لأنها لم تكن نظرية لها أصول وإجراءات، وهو لا يشبه القارئ عند (آيزر)؛ لأنه لا ينشغل بردم الفجوات، أو الفراغات، أو مواقع اللاتحديد (كما يسميها آيزر مستمداً التسمية من رومان انجاردن، التي يتركها النص، أو يضع استنتاجات من تلميحات النص) (٤).

والقارئ عند (فش) ليس مقياساً للدلالة الشعرية في النص، إنما هو مقياس ومصدر جميع الدلالات؛ لأنَّ الموضوع الذي يتكون فيه المعنى، أو لا يتكون، إنما هو ذهن القارئ، وليس الصفحة المطبوعة في الكتاب (٥).

فهو يرى أنَّ متكلمي لغة معينة يشتركون في نظام من القواعد؛ فقد يكون الفهم بمعنى معين فهمًا منتظمًا؛ مما يؤدي إلى أنَّ تتحول قواعدها إلى قيود على الإنتاج، وعلى الاستجابة؛ فالقارئ يتفاعل مع الكلمات المكتوبة بطريقة معينة خاضعاً لمجموعة من القواعد التي اعتاد المؤلف توليدها؛ فتكون تجربة القارئ من خلق المؤلف؛ لأنه ينفذ إرادته. الأدب فعالية ينجزها القارئ وليس نتاجاً ثابتاً ساكناً (٦).

بمعنى أنّ كلَّ شيء في النص هو ثابت ومعلم من لدن كاتب النص؛ فهو أشبه ما يسمى في علم السرد بـ (الراوي العليم)؛ فقد رأى هيرش ((أننا لا يمكننا أن نتحدث عن تأويل محدد ما لم نفترض سلفاً قصداً للمؤلف بوجه ذلك التأويل))<sup>(٧)</sup>.

حتّى إذا تولد المعنى من تفاعل القارئ مع قصد المؤلف في النص، فسيكون معنًى معلوماً سلفاً، فهو لا يحقق كسر أفق التوقع أو خيبة الانتظار التي يولدها قارئ أيزر؛ فالقارئ عند أيزر قارئان: قارئ مضمّر وهو (القارئ الضمني) الذي يضعه المؤلف في ذهنه لحظة كتابة النص، قارئ أوجدته المؤلف للنص، والذي يولد فينا رغبة القراءة والتأمل، والقارئ الثاني: القارئ الفعلي، وهو القارئ الذي يستقبل النص في عملية القراءة.

وهناك مقترح للناقد (روبرت هولب) يمكن أن نعدّه فرقاً آخر بين التلقي والاستجابة؛ فهو يرى أنّ الاستقبال يرتبط بالقارئ، في حين الاستجابة لها علاقة بالأوجه النصية<sup>(٨)</sup>.

وآخر ما نقف عنده من أوجه التباين بين التلقي والاستجابة أنّ (نقد استجابة القارئ) تواجه مقولة: إنّ النقد الجديد الذي يخلط بين القصيدة ونتائجها على نحو ما نادى به (ومزات) و(بير دسلي) في مقالتهما (المغالطة العاطفية) التي يجادل بأنّه لا يمكن للقصيدة أن تُفهم بمعزل عن نتائجها؛ إذ لا وجود لمعنى حقيقي من دون ارتباطه بوعي القارئ<sup>(٩)</sup>.

وإذا كانت هنا فواصل بين نظرية التلقي ونقد الاستجابة فإنّ هناك بعض نقاط الالتقاء الجوهرية بينهما، مثل: (المعنى)؛ فهم جميعاً يتفقون على معارضتهم للمعنى الموروث: ((... أنّه من الواضح، وبرغم منطري نقد القارئ لا يتفقون على كثير من الأمور، فإنّهم يتحدون في شيء واحد: معارضتهم كليّة للمعنى الموروث في النص الأدبي))<sup>(١٠)</sup>.

ومن جملة الأمور التي تتفق فيها نظرية التلقي مع نقد الاستجابة في النقد الأمريكي المفهوم الذي قدّمه (جيسون)، وهو (القارئ الصوري)، الذي يقابل (القارئ الحقيقي) عند (أيزر)، و(القارئ الصوري) قارئ نصيّ محض، ولكنّه يحول الانتباه

من النص إلى التأثير التي يحدثها النص؛ فهو دورٌ على القارئ الحقيقي أن يؤديه<sup>(١١)</sup>.

وهو بذلك ليس قارئاً حقيقياً، بل مُتخيل في ذهن المبدع لحظة إبداعه، ويقوم بالوظيفة نفسها التي يقوم بها القارئ الضمني؛ فهو وسيلة لإنتاج سلسلة من الاحتمالات قبولاً أو رفضاً؛ وذلك عن طريق تقديمه لأنواع مختلفة من التحليل النصي، ويمكن القول: إنَّ التلقي والاستجابة يهتمان كلاهما بأنواع القراء الذين تتضمنهم النصوص؛ فرواد ((نظرية الاستقبال ونقاد الاستجابة والتلقي وضعوا في مركز العناية القارئ والقراءة في إطار عملية التلقي، وجعلوا من القارئ بؤرة الاستقصاء، والمركز الذي تتمحور حوله كلُّ عناصر النص الأخرى))<sup>(١٢)</sup>.

وهناك مصطلح في نقد الاستجابة يسمى (القرارات)، التي يُنجزها القارئ عندما يحاور النص، وهي تلتقي مع التعديلات والتسويغات في (نظرية التلقي)، التي يجرها القراء، فيما يسمى عند (آيزر) بـ (أفق التوقع)؛ فـ ((بينما يؤرخ آيزر زمانياً التحولات العميقة في موقف القارئ من النص - مثل إعادة القارئ بناءً شخصية ما، أو إدراكه الناشئ لموضوعة معينة - نجد (فش) يثبت الانتباه على متتالية القرارات، والتنقيحات، والتوقعات، وعمليات النقص، والاستعدادات التي يُنجزها القارئ عندما يفاوض النص جملةً فجملةً، وعبارةً فعبارةً))<sup>(١٣)</sup>.

كما يتلقي المتلقي مع مصطلح الاستجابة في (المعنى)، والمعنى هنا ليس المعنى الموروث الأنف الذكر، وإنما المعنى الذي في ذهن القارئ، ولا يوجد مستقلاً من دون علاقة بين القارئ والنص، والمتلقي هو الذي يشترك في إنتاج المعنى في نقد استجابة القارئ والتلقي؛ فقد تبني (فش) الفكرة القائلة بأن يكون: ((القراء مشاركين مشاركة فعالة في خلق المعنى تقتضي منه إعادة تعريف المعنى والأدب نفسه))<sup>(١٤)</sup>.

والمعنى عند (فش) هو تجربة المرء في أثناء تعريف عملية القراءة، والأدب لا يمكن أن يُعدَّ موضوعاً ثابتاً، إنما هو متتالية من الحوادث تتجلى في ذهن القارئ<sup>(١٥)</sup>.

وترى الباحثة أنَّ اصطلاح (نقد الاستجابة) يقوم على إضافة كلمة (نقد) إلى الاستجابة، والاستجابة هنا تقابل مفهوم التلقي؛ فيكون المعنى (نقد التلقي)؛ فهي ليست نظرية، إنما هي نقد، والنقد هنا طريقة الاستجابة عند المتلقي، الذي يكون مطابقاً لأفق التوقع أو مخالفاً له، وهي في نقدها تقوم على أصول نظرية التلقي وآلياتها، ولا شكَّ في ((أنَّ ما يُعرف اليوم بجمالية التلقي أو نقد استجابة القارئ ليس نظرية موحدة كما يوحي بذلك اسمها حقاً. إنَّ المفهوم يستلزم تيارين أساسيين من التفكير يُمكن تمييز أحدهما عن الآخر بوضوح رغم تداخلهما))<sup>(١٦)</sup>.

يمكن أن نجد بعض الآليات الإجرائية لنظرية التلقي عند نقاد آخرين، برزت أسماؤهم في منهجيات ما بعد الحداثة؛ فنجد لديهم وقفات قصيرة عند القارئ في استنطاقه النص في أثناء التفاعل؛ فقد نظر (مايكل ريفاتير)، الذي يُعدُّ من أوائل النقاد الذين تناولوا الحديث عن اللغة الشعرية، وميزاتها من الوجهة الأسلوبية، تناول النص عن طريق مدى ارتباطه باللغة الشعرية، وذهب إلى أنَّ معنى النص يتحقق عن طريق العلاقة الكامنة بين النص والقارئ؛ فالظاهرة الأدبية تتخلق عن طريق التفاعل بين طرفي العملية الإبداعية.

أمَّا الناقد الآخر فهو السيميائي (أمبرتو إيكو)؛ فهو من النقاد الذين توقفوا عند العلاقة بين النص والقارئ، إلاَّ أنَّه عن طريق تعامله مع موجة نظرية التلقي اندفع بقوة إلى نظرية المقصدية، التي طالما حاولت جمالية التلقي أن تتجاوزها بإصرار.

فنظرية التلقي تذهب إلى أنَّ النص هو الذي يحقق الأثر الجمالي لدى القارئ؛ وبذلك تُلغي مقصدية المتكلم وتعوضها بمقصدية النص.

فكان (إيكو) يرى أنَّ النص ((يمتلك السلطة المحددة لسلوك القارئ وردود فعله إزاء البنية والمحتوى))<sup>(١٧)</sup>.

ويرى أنَّ النص مزود بمقصدية إخبارية (قصدية المؤلف) التي توجه القارئ إلى الكشف عن معانٍ جديدة عن طريق التأويل، ولكن تظلُّ التأويلات عند (إيكو) محافظة على وحدة النص وتماسكه؛ فهو لم يكن رافضاً لأي جانب من جوانب العملية الإبداعية، لكنَّهُ كان رافضاً لكل تأويل يؤدي إلى تفكيك النص؛ فيكون الفرق

الأساس بين (إيكو) و(فولفغانغ آيزر) ((أَنَّ الأَوَّل يُعَدُّ القارئ متدخلًا منفصلاً عن صنع الأثر الأدبي، والجمالي، والدلالي، في حين يُعَدُّ الثاني أَنَّ هذا الأثر لا يوجد في النص ولا عند القارئ، بل في نتاج التفاعل بينهما))<sup>(١٨)</sup>.

كانت تلك تلميحات وإشارات إلى أوجه الافتراق والالتقاء بين التلقي والاستجابة، وإشارات تلميحية إلى النظريات التي سبقت نظرية التلقي في تطبيق بعض آلياتها الإجرائية في تعاملها مع النص الأدبي، وإن كانت هذه النظريات قد ركزت على جانب معين وأهملت جانباً آخر.

### الخاتمة:

١. يبقى نقد استجابة القارئ تيار فكري يستمد معطياته وأصوله من نظرية التلقي؛ فهي لم ترق إلى مستوى النظرية، وإن كانت مفردة النقد تقابل التلقي؛ فيكون المعنى (نقد التلقي) يبقى فلها دور في محور النقد، والنقد هنا متعلق بمدى الاستجابة عند التلقي.

٢. إذا كان نقد استجابة القارئ يجعل المتلقي متأرجحاً بين صنع معنى النص وبين البقاء منفصلاً عن النص؛ فنظرية التلقي تنظر إلى المعنى النصي على أنه عملية تفاعلية متبادلة بين النص والقارئ.

### Abstract

*Differences and convergence between receive and response*

*Lecturer: Ruba Abdul Rida Abdul Razzaq (Ph.D.)*

*Diyala University/ College of Education for Human Sciences*

*Observer: Aruba Malik Mahdi*

*Diyala University/ College of Education for Human Sciences*

*Keyword: Reception, Response, Theory*

*Reception theory is based on the essence of the basis of which is the reader who receives and makes the initial meaning of the text and demonstrates this meaning through an interactive process between the two ends; the reader, the resultant author of text and the text in which the author places a specific intention.*

*Thus, the literary work in the light of the reception theory is the result of the interaction between the text and the reader. It does not meet one party at the expense of the other. Rather, it seeks to create interaction between background formations of the text and the scopes of meaning. That is, the textual analysis and the background experience and knowledge reflect the criticism of reader's response which puts the reader at the top of the pyramid, eliminating the existence of the author of the text. From this end, the research is to find the critics of convergence and the variance between reception and response.*

### الهوامش

- (١) نظرية الاستقبال (مقدمة المؤلف): ٧.
- (٢) ينظر: : المصدر نفسه: ٩، ونظرية التلقي (مقدمة نقدية) (مقدمة المؤلف): ٣٥-٣٦، ويمكن الرجوع إلى نظرية التلقي أصول وتطبيقات، بشرى موسى: ٤١-٤٢.
- (٣) نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنوية: ١٧.
- (٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨.
- (٥) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٦) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٧) السيميائية والتأويل: ٣٠-٣١.
- (٨) ينظر: نظرية الاستقبال (مقدمة المؤلف): ٧.
- (٩) استجابة القارئ وجماليات التلقي والتأويل: ١٩.
- (١٠) Tompkins, Jane P.ed. Reader – Response Criticism: 201. (١٠)  
نقلًا عن: استقبال النص عند العرب: ٤٠ (The Reader in History).
- (١١) ينظر: نقد استجابة القارئ: ١٩-٢٠.
- (١٢) استقبال النص عند العرب: ٥١.
- (١٣) نقد الاستجابة: ٢٧.
- (١٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.



- (١٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨.
- (١٦) نظرية الأدب (القراءة الفهم التأويل)، نصوص مترجمة، آفاق نقد استجابة القارئ، فلولفغانغ أيزر، ترجمة: أحمد بو حسن: ٦٩.
- (١٧) آليات التأويل وتعددية القراءة: ٧٦.
- (١٨) القراءة وتوليد الدلالة: ٧٣.

### المصادر

- استجابة القارئ وجماليات التلقي والتأويل، حسن خضر، ملحق آفاق، ٢٠٠٠م.
- استقبال النص عند العرب، د. مُحَمَّد رضا مبارك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمّان، الأردن، ط١، ١٩٩٦م.
- آليات التأويل وتعددية القراءة، أمبرتو إيكو، منشورات اتحاد الكُتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤م.
- السيميائية والتأويل، روبرت شولز، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- القراءة وتوليد الدلالة (تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي)، د. حميد الحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٧م.
- نظرية الاستقبال (مقدمة نقدية)، روبرت سي هولب، ترجمة: رعد عبدالجليل جواد، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، ط١، ١٩٩٢م.
- نظرية التلقي (أصول وتطبيقات)، د. بشرى موسى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠١م.
- نظرية أوستن وأرين، رينيه ويلبك، ترجمة: محيي الدّين صبحي، مراجعة: د. حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- نقد استجابة القارئ من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، تحرير: جين ب. تومبكر، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم، مراجعة: مُحَمَّد جواد حسن الموسوي، المجلس الأعلى للثقافة، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٩٩م.